الزَّوجية (الذّكورة والأنوثة) في الرؤية القرآنيّة

دراسة تأصيليَّة- نقديَّة للإيديولوجيا الجندريّة الشّذوذيّة

◆ سامر توفيق عجمي[1]

■ **خلاصة**

يُقدِّمُ لنا القرآنُ الكريمُ رؤيةً إلى الإنسان، تقوم على وجود سُنن ثابتة في ضوء الإرادة الإلهية، منها: «الزوجيّة البيولوجيّة». والفكرة الأولى في القرآن، هي عموم قانون الزوجيّة لكلّ ما خلق الله تعالى، ولكن الظّاهر أنّها ليست بمعنى الذكورة والأنوثة، بل التّشاكل والتخالف، أو الفعل والانفعال، ولكن ثمّة آيات يُستظهر منها عموم قانون الزوجية البيولوجيّة لعالم النبات فضلًا عن عالم الحيوان والإنسان.

ويُلاحظ المستطلع للآيات القرآنية أمورًا عدّة: أولًا: انقسام الإنسان إلى ذكر وأنثى، دون وجود صنف ثالث، وهي من مُسلَّمات البيولوجيا المعاصرة، مع ذلك، تقوم الإيديولوجيا الجندريّة على سفسطة تتجاوز البيولوجيا والعلم بادّعائها وجود هويات خارج الذكورة والأنوثة، قائمة على أساس الرغبة الشخصية دون الواقع التكوينيّ. وثانيًا: اختصاص قابلية الحمل بالأنوثة. ثالثًا: التّناسل يحصل بالعلاقة الجنسيّة بين الذّكر والأنثى، لكن القرآن حصرها بالزواج الشرعيّ. وفي المقابل، الأيديولوجيّا الجندرية والشذوذية، تتجاوز ذلك، حيث شرّعت الزواج بين المثليين. ولذا، حرَّم القرآن أيَّة علاقة جنسية بين الذكر والأنثى خارج الزّواج الشرعي، أو بين الإناث، أو بين الذكران، مشيراً إلى أنَّ أحد الآثار التدميريّة لذلك: عدم استمرار النوع البشري، ولذا فالجندريّة والشذوذيّة هي فلسفة موت وعدميّة.

الكلمات المفتاحية: الزّوجية- الجندرة- الشّذوذ- الذكورة والأنوثة- القرآن الكريم..

1 - باحث في الدّراسات القرآنية- لبنان.

مُقدّمة

لا ريب -في اعتقادنا- أنَّ البحثَ المُنطلِق من الرؤية المعرفيّة المؤسَّسة على مصدريّة الوحي، يتحرّك في خطٍّ موازٍ للّذي يُقصي حضوره، لأنَّ الوحيَ بمنزلة النّور للعقل البشري. فكما أنَّ العينَ السليمة لا تتمكَّن من رؤية الأشياء إلّا بانبساط النّور، كذلك العقل الفطريّ السليم في دراسته أيّ موضوع كالوجود أو الإنسان، يحتاج إلى مدد الوحي حتى في المستقِلّات العقليّة إرشادًا أو تأييدًا، ليَستلهِم منه ما يُمكِّنه من تحديد موقفه تجاه بعض القضايا.

يُقدِّم لنا القرآن الكريم -بوصفه مصدرًا وحيانيًّا مضمون الحقانيّة- رؤية إلى الطبيعة والإنسان، تقوم على أساس وجود سُنن ثابتة في ضوء الإرادة الإلهية، بمعنى أنّ الله تعالى اختار أن يشتغل عالم الطبيعة والمادة في حركته نحو الأهداف التي خُلِق لأجلها، وفق مجموعة خاصّة من القوانين الحاكمة دون غيرها، ولو شاء الله أخرى لكان ما أراد[1]، فمثلاً أكّد القرآن الكريم الترابط السّببي بين بعض الظّواهر الطبيعيّة، يقول تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا**﴾[الروم:48]، فأسندت الآية إثارة السّحاب إلى الرّياح، ويقول تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ**﴾[البقرة: 22]، والباء في: ﴿**فَأَخْرَجَ بِهِ**﴾ للسببيّة، والضّمير في «بِهِ» يرجع إلى الماء، فيكون الماء سببًا لإخراج الثمرات، وهكذا عشرات الأمثلة في القرآن الكريم، مع تأكيده على خضوع هذه السببيّة للتّوحيد الأفعالي والإرادة الإلهيّة ﴿**الله الذي يُرسل**﴾، ﴿**فأخرج الله به**﴾.

عطفاً على ما سبق، من الموضوعات المهمة التي طرحها القرآن الكريم: «الزوجيّة -أي الذّكورة والأنوثة-»، ولا شكّ في أنَّ منهجيةَ معالجة هذا الموضوع بلحاظ ما تقدّم – أي الاعتقاد بمصدريّة

1 - عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يُجرِيَ الأشياء إلّا بأسباب، فجعل لكلِّ شيءٍ سببًا...». الكليني، الكافي، ج1، ص183.

المعرفة الوحيانيّة وحاكميّة الإرادة الإلهيّة على العالَم وفق سننٍ خاصّة- تختلف عن دراسته في ضوء مناهج لا تستند إلى هذه الرؤية الاعتقادية-المعرفيّة.. سنحاول في هذا البحث فهم «الزوجيّة» في الرؤية القرآنيّة، لنرصدَ المعطيات التي قدَّمها القرآن الكريم حولها.

أوّلًا: زوجيّة كلّ شيء في القرآن الكريم:

الفكرة الأولى المثيرة للانتباه في القرآن الكريم هي قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[الذاريات: 49]، وقد استفاد بعض المفسّرين منها، عموم قانون الزوجيّة - بمعنى الذكورة والأنوثة- لكلّ ما خلق الله تعالى، فهل كلّ ما في عالم الطبيعة من أنواع الكائنات مخلوق منه صنفان ذكر وأنثى؟ يتوقف الجواب فيما يمكن استظهاره من الآية على تحديد نقطتين:

1 - معنى مفردة "شيء":

الشّيء في الوضع اللغوي معلوم المعنى لا يحتاج إلى شرح وبيان. فكُلُّ ما قيل في تعريفه هو من باب تحديد المراد التداولي، كما في قول سيبويه: «الشَّيء يقع على كلِّ ما أُخبِرَ عنه»[1]، وقول بعضهم: يدلُّ على كلّ ما هو موجود وثابت.

والمُلاحَظ بالاستقراء التام للآيات - بغض النظر عن المعنى اللغوي والروائي[2]- أنّ مفردة «شيء» في القرآن لم تُستعمَل إلّا فيما هو دون الله تعالى، فكلُّ ما وقع عليه إسم شيء في القرآن هو مخلوق، و﴿**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[الرعد:16].

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص249.

2 - أدرج الكليني، في الكافي، ج1، ص82--83، تحت عنوان: (باب إطلاق القول بأنّه شيء) سبعة أحاديث يستفاد منّها أنّه يصح إطلاق كلمة «شيء» على الذات الإلهية المقدّسة بالتنزيه وسلب المثلية ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[ألشورى:11]، منها: عن الحسين بن سعيد، قال: «سُئِل أبو جعفر الثاني -الجواد- عليه السلام: يجوز أَن يقال لله: إنه شيء؟ قال: نعم، يُخرجه من الحدين: حد التعطيل وحد التشبيه».

ومنها: عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام، «أنّه قال للزنديق حين سأله: ما هو؟ قال: هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنّه لا جسم ولا صورة ولا يُحسُّ ولا يُجسّ ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيّره الأزمان...».

وعندما تُضاف «كلّ» إلى «شيء» تفيد الاستغراق للأفراد جميعًا التي يقع عليها إسم «شيء»، والاستثناء من العموم يحتاج إلى دليل يُخرِج المُستثنى عن الاندراج تحت الشّمول والاستيعاب، سواء أكان هذا الدليل لفظيًّا أم لبيًّا عقليًّا، وهناك شواهد كثيرة على إرادة العموم في القرآن الكريم، منها: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:20]، و﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة: 231]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[القمر:52][1].

2 - بيان معنى "الزّوجيّة" في اللّغة والاستعمال القرآني:

قال ابن فارس: «الزاي والواو والجيم، أصلٌ يدلُّ على مقارنَة شيءٍ لشيء»[2]. وفي لسان العرب: «الأصل في الزّوج الصِّنف والنّوع من كلّ شيء، وكلّ شيئين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان»[3].

والجملة الثانية، تفيد أنَّ كلمةَ «الزوجين» تطلق على كُلِّ اثنين اقترن أحدهما بالآخر مطلقًا، فلا يُشترَط في إطلاق كلمة الزّوجين على الاثنين أن يكونا متناظرين، بحيث يندرجان تحت جنس أو نوع أو صنف واحد، فالعرب توقع لفظ الزوجين أيضًا على الجنسين المختلفين نحو: الأسود والأبيض، والحلو والحامض، والليل والنّهار...إلخ.

أمَّا الاستعمال القرآني، فلا يختلف عن المعنى اللغوي[4]، ويقول حسن المصطفوي: إنَّها قد تطلق بلحاظ ما يكون له عدل ومقابل آخر من نظيره، ولكن «قد تطلق المادّة من دون إضافة إلى عدل في الظاهر، وحينئذ تقرب من مفهوم الصنف والنوع والشكل، كما في ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾[فاطر:11]..»[5].

والخلاصة، أنَّهُ لغةً واستعمالاً في القرآن تطلق كلمة: «زوج»، «زوجين»، «أزواج» على أمرين: الأوَّل: الصنف والنوع والشكل. والثَّاني: الذكر والأنثى.

---

1 - انظر: الآيات: النساء:33، و86 والأنعام:102، وهود:57. والأحزاب: 52. والأنعام: 99. والطلاق: 3. إلخ.
2 - ابن فارس، مقاييس اللغة ج3، ص35.
3 - ابن منظور، ج2، ص292.
4 - الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص384.
5 - المصطفوي، ج4، ص382.

3 - آراء المُفسِّرين في قوله تعالى: ﴿ومِنْ كلّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ﴾[الذاريات:49].

■ **الرأي الأول:** أنّه من كلّ شيء خلق زوجين، أي ذكرًا وأنثى.

■ **الرأي الثاني:** حمل معنى «كلّ شيء» على خصوص الحيوان. قال الزمخشري: أي من كُلِّ شيء من الحيوان، خلقنا زوجين ذكراً وأنثى. ولكن يناقش، بأنّه لا يساعد عليه البحث اللغوي، فهو تخصيص من غير مُخصِّص، وتقييد تبرُّعي لا دليل عليه من الآية، وأقصى ما يصلح أن يكون مُقيِّدًا من خارج مدلولها هو العهد الخارجي من معنى الزوجيّة البيولوجيّة، ولا ينفع للتخصيص والتقييد لأنّه مجرد استئناس ذهني لا أكثر، ولعلَّ ذلك لحمله الزوجيَّة على الذكورة والأنوثة، مع أنّه يمكن حملها على كلّ مقترنين متشاكلين أو متخالفين، أعمّ من الذكورة والأنوثة كما تقدّم.

■ **الرأي الثالث:** رأي مجاهد، أنّه من كلّ شيء خلق الله تعالى نوعين مختلفين، فالمراد مطلق المتقابلات كالذكر والأنثى، والسماء والأرض والليل والنهار، والبر والبحر والإِنس والجن..[1]. ويرد عليه أنّه تخصيص بلا مُخصَّص، لأنّ الزوجية تشمل المتشاكلين أيضًا.

■ **الرأي الرابع:** ذهب إليه الفخر الرازي، من أنَّ الزوجين يعمّان الضدين كالذكر والأنثى، والمتشاكلين، فإن كلّ شيء له شبيه ونظير وضدّ وندّ.[2].

■ **الرأي الخامس:** ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي، بقوله: «الزوجان المتقابلان يتمُّ أحدهما بالآخر: فاعل ومنفعل، كالذكر والأنثى»[3]، وقال في تفسير سورة[يس: 36]: «أشار إلى ما هو أعظم وأوسع من خلق أزواج النبات وهو خلق الأزواج كلها وتنظيم العالم المشهود باستيلاد كلِّ شيء، من فاعل ومنفعل قبله هما أبواه كالذكر والأنثى من الإنسان والحيوان والنبات، وكلّ فاعل ومنفعل يتلاقيان فيُنتِجان بتلاقيهما أمرًا ثالثًا»[4].

والأوجه في تفسير الآية ما ذكره الرازي، ويساعد عليه الاستعمال اللغوي.

والمُحصَّل، أنَّ الآيةَ أجنبية عن إثبات الزوجية -بمعنى الذكورة والأنوثة المتعارفة بيولوجيًّا- لكُلِّ ما في عالم الطبيعة، وأقصى ما يمكن استظهاره في هذا المجال -لو تجاوزنا- هو ما أفاده العلاَّمة

1 - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج22، ص440.
2- الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح االغيب ، تفسير الآية 49 من سورة الذاريات.
3 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج18، ص382، 1402هـ.
4 - الطباطبائي، ج17، ص87.

الطباطبائي، فمعنى الآية: أنّ الله تعالى خلق أنواعاً وأصنافاً وأشكالاً متفقة ومختلفة، ليكون ذلك دليلاً على سعة قدرته من جهة وفردية من جهة ثانية، فيكون معنى الآية أنّ كلّ مخلوق في العالم ليس متمحِّضًا في الفردية والأحدية، بل إمَّا له شبيه يشاكله، أو ضد يخالفه، فالتعدّد من خصائص المخلوق، وأنّ الوحدانيّة المحضة والواحد لا عن عدد منحصرة بالله تعالى[1].

ثانيًا: نظام الزوجية في عالم النّبات

ورد في مجموعة من الآيات الكريمة، ما يُفيد وصف النبات بالزوجيّة، كقول تعالى: ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾[الحج: 5].﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾[لقمان: 10].﴿**والْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾[سورة ق: 7]، ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾[الشعراء: 7]. ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ**﴾[يس: 36]، ﴿**وأنزَلَ مِنَ السّماء مَاءٍ فَأَخْرجْنا بِه أَزْواجاً من نَباتٍ شَتى**﴾[طه:53].

فهل الزوجية في عالم النبات، بمعنى الأصناف والأشكال والأنواع، أم بمعنى الذكورة والأنوثة؟

لكن قبل ذلك، نُشير إلى معنى النبات، وهو كلّ ما فيه قوة النمو، ممَّا يخرج من المزروعات، قال ابن فارس: «النون والباء والتاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على نماءٍ في مزروع، ثم يستعار»[2]، كما استعير قوله تعالى في مريم عليها السلام: ﴿**وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا**﴾[آل عمران:37].

وفي الاستعمال القرآني، قد يطلق النبات ويراد معناه المُتعارف، وقد يطلق ويقصد به كلّ ما فيه قوة النمو، أعمّ من المزروع، إمَّا حقيقة وإمَّا من باب الاستعارة، كما يظهر من قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[الأنعام: 99]، أي أنبتنا به كلَّ شيء

1- ويمكن استظهار هذا المعنى من الروايات، منها: عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «... بمضادته بين الأشياء عرف ألاَّ ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف ألا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والجمود بالبلل، والصرد بالحرور،.. وذلك في قوله عزّ وجل: ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾» انظر: الكليني، الكافي، ص139. وكذلك ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام بالمضمون ذاته، أنظر: الطوسي، الأمالي، ص22.

2 - معجم مقاييس اللغة ، ج5، ص378.

نباتي، كالشجر والإنسان وسائر الحيوان[1]

يقول العلاَّمة الطباطبائي في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ**﴾[يس:36]: "بيان للأزواج، والذي تنبت الأرض هو النبات ولا يبعد شموله الحيوان، وقد قال تعالى في الإنسان، وهو من أنواع الحيوان ﴿**والله أنبتكم من الأرض نباتًا**﴾[نوح: 17]، ويؤيِّد ذلك أنَّ ظاهرَ سياق البيان استيعابه للمبين مع عدم ذكر الحيوان في عِداد الأزواج"[2].

وقد احتمل المفسّرون المعاصرون وجهان لمفردة «زوج» التي هي مُتعلَّق الإنبات في هذه الآيات:

الأوّل: الصنف، فيكون المعنى أنبت في الأرض أصنافاً متشابهة ومختلفة.

الثاني: الازدواج بلحاظ انقسام النبات إلى ذكر وأنثى.

ويُلاحَظ من العلاَّمة الطباطبائي وكذلك الشيخ ناصر مكارم الشيرازي وغيرهما، تبنِّي أحد الاحتمالين تارة، كما في الآية الثالثة المُتقدَمة [ق:7]، حيث حملا «المراد بإنبات كل زوج بهيج، إنبات كل صنف حسن المنظر من النبات». وفي بعضها الآخر: التزاوج والازدواج بمعناه البيولوجي، كما في قول العلاَّمة في الآية الثانية المتقدّمة [لقمان:10]»، وفيه إشارة إلى تزوج النبات»، وكذلك الآية الأخيرة.

وتارة يحتمل العلامة كلا المعنيين، كما في تفسيره الآية الأولى [الحج:5]، يقول: «وأنبتت الأرض من كُلِّ صنفٍ من النبات..، أو المراد بالزوج ما يقابل الفرد، فإنَّ كلامه يثبت للنبات ازدواجًا كما يثبت له حياةً، وقد وافقته العلوم التجريبية اليوم»[3].

أمَّا الشيخ الشيرازي، فيقول في الآية الثانية المتقدِّمة [لقمان:10]: «تشير هذه الآية مرة أخرى إلى مسألة الزوجية في عالم النباتات، وهي أيضًا من معجزات القرآن العلمية، لأنّ الزوجية - أي وجود الذكر والأنثى - في عالم النباتات لم تكن ثابتة في ذلك الزمان بصورة واسعة، والقرآن كشف الستار عنها». وكذلك في الآية الثالثة [ق:7]، والآية الأخيرة [طه:53]، وكذلك يحسم الموقف في تفسير

1 - الميزان في تفسير القرآن، ج7، ص2.

2 - معجم مقاييس اللغة، ج17، ص88.

3 - الميزان في تفسير القرآن، ج18، ص340؛ وج16، ص21؛ و ج14، ص171 و345.

الآية الرابعة[الشعراء:7][1].

ولكن الإشكالية التي يمكن أن تُثارَ هنا: هل الرأي الذي تبنَّاه كلٌّ من العلامة الطباطبائي والشيخ ناصر مكارم يمكن استظهاره بالنظر إلى لسان الآيات في ذاتها، دون الاستعانة بالقرينة الخارجية التي ثبتت بواسطة العلوم التجريبية؟ حيث قد يُقال إنَّ البحثَ القرآني يقتضي النظر إلى دلالة الآية في ذاتها، من حيث ما الذي يمكن استظهاره منها بمساعدة اللغة، لكن يمكن أنّ يُقال إنَّ الاستعانةَ بالقرائن الخارجية المنفصلة القطعيّة، أسلوب عُرفي نوعيّ في التفهيم والتفاهم، فما يكشف عنه العلم من ظواهر طبيعية يمكن توظيفه في فهم النصّ الدينيّ، وليس خارجًا عن نظام التعبير اللغوي، ويمكن تشبيه المسألة باستعانة المُفسِّرين بالقواعد العقلية القطعيّة في فهم النص، وأنّها من أصول التفسير، وبمنزلة قرينة لفظيّة متّصلة.[2].

والحقُّ أنَّ الآيات وبالنظر إليها في ذاتها، تحتمل كلا المعنيين المذكورين سابقًا، كما أفاده العلامة والشيخ بالنسبة إلى بعض الآيات، أمَّا ترجيح أحد المعنيين على الآخر للخروج في دائرة الإجمال إلى الظهور يحتاج إلى قرائن، هذا، ويمكن أن يقول بإرادة المعنيَيْن من باب جواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى.

القرائن المُرجّحة لإرادة معنى الزوجيّة البيولوجيّة:

وعلى كُلِّ حال، يمكن طرح بعض القرائن المُرجّحة لإرادة معنى الزوجيّة البيولوجيّة لا أقل في بعض الآيات:

أ. الأولى: إنَّ تكرارَ الزوجية في وصف النبات، يُشعر بكون المقصود هو الازدواج دون الأصناف، وذلك لأنَّ الأصنافَ من الأمور المحسوسة المشاهدة التي لا تخفى على أحد، كي يتكرر ذكرها من باب الامتنان أو التنبيه على عظمة الخالق فقط، وإنّما الذي يُفيده ذلك هو كونها بمعنى الازدواج، والذي يؤيّده أنَّ مسألةَ تزاوج النبات لم تكن غائبة بالمطلق عن الذهنية العربية المزامنة لعصر النصِّ، بل كانت مستأنسة بأنّ بعض أنواع النبات خاضعة لهذه السّنة، كما في تأبير النخل وتلقيحه.

ب. الثانية: لو كان المقصود بالزوج: الصنف والشكل، لكان الأولى التعبير بالأزواج بمعنى

1 - انظر: الشيرازي، تفسير الأمثل، ج13، ص30، ج17، ص16، ج10، ص19، ج14، ص183.
2 - اللنكراني، مدخل التفسير، ص189.

الأصناف لا الزوج.

ت. الثالثة: القرائن الداخلية من الآيات نفسها، بعطف بعضها على بعض، كقوله تعالى:﴿**وأرسلنا الرياح لواقح**﴾[الحجر:22]، يقول العلاَّمة الطباطبائي: " واللواقح جمع لاقحة من اللقح، بالفتح فالسكون يقال: لقح النخل لقحاً، أي وضع اللقاح - بفتح اللام - وهو طلع الذكور من النخل على الإناث لتحمل بالتمر، وقد ثبت بالأبحاث الحديثة في علم النبات أنَّ حكمَ الزوجية جار في عامة النبات وأن فيه ذكورة وأُنوثة، وأنَّ الرياحَ في مهبِّها تحمل الذرات من نطفة الذكور فتلقح بها الإناث... وهذه الآية التي تثبت بشطرها الأول: ﴿**وأرسلنا الرياح لواقح**﴾، مسألة الزوجية واللقاح في النبات،.. من نقود العلم التي سبق إليها القرآن الكريم الأبحاث العلمية وهي تتلو المعجزة أو هي هي"[1]. وإن كان ثمة مجال واسع للنقاش في كون المراد باللواقح هنا هو دور الرياح في تجميع قطع السحاب المنتشر مع بعضها لتهيئة عملية تساقط الأمطار، بقرينة السياق وفاء السببيّة[2].

وهناك قرائن غيرها أعرضنا عن ذكرها حذر الإطالة.

وفي المحصِّلة فإنَّ نظامَ الزوجيّة حاكم على عالم النبات، بمعنى أنَّ التكاثرَ الحاصل فيه وليد الازدواج بين ذكر وأنثى، ولو جُهلت الكيفية الخاصة، والتي قد تتوسّع العلوم الطبيعية التجريبية في اكتشافها مع الوقت.

ثالثًا: نظام الزوجية في عالم الحيوان

ثمّة آيات عدّة أيضًا في القرآن الكريم يستفاد منها عموماً في قانون الزوجية في عالم الحيوان، فضلاً عمَّا يمكن استشعاره ممَّا أشار إليه العلامة الطباطبائي سابقًا بتوسعة مفردة النبات في بعض الآيات ليشملَ الحياة الزوجيّة للحيوانات، بغض النّظر عمَّا قد يقول: إنَّهُ بناءٌ للبحث العلمي التجريبيّ وقد لا تعمُّ ظاهرة الزوجيّة عالم الحيوان مطلقًا، وإن كان ثمة أيضًا مجال واسع للنقاش ليس محلّه هنا.

يقول تعالى: ﴿**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا**

1 - الطباطبائي، تفسير الميزان، ، ج12، ص146.

2 - الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج8، ص56-57.

﴿اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[الأنعام :143]. وفي آية أخرى: ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ..﴾[الأنعام: 144].

ويقول تعالى أيضًا: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[الشعراء:11].

وغيرها من الآيات التي تشيرُ إلى انقسام الأنعام إلى: ذكر وأنثى. وقد يُقال إنَّ هذا مختصٌّ بالأنعام، ومن أين للخاص أن يُثبِتَ العام؟!!

ولكن قد نستظهر العموم من قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿فإذا جَاءَ أَمْرُنا وَفَارَ التّنور فَاسْلُك فِيها مِنْ كلٍّ زوجين اثْنَين﴾[المؤمنون: 27]، ﴿قُلْنا احمْل فيها مِنْ كُلٍّ زَوْجين اثْنَين﴾[هود:40].

أمَّا وبناءً على قراءة حفص بتنوين "كلٍّ" والقطع عن الإضافة، والظاهر أنّ "من" لابتداء الغاية، فيكون التقدير: احْملْ فيها أو اسْلُك في الفُلك زوجين اثنين: ذكر وأُنثى من كلِّ نوع من أنواع الحيوان، فتُفيد العموم.

وأوضح منها قراءة الباقين بالإضافة "كلِّ زوجين"، أي احمل اثنين من كُلِّ زوج، وكما تقدّم، إضافة كلٍّ إلى زوجين تفيد الاستيعاب والشمول والعموم.

رابعًا: نظام الزوجيّة في عالم الإنسان

لا ريبَ في أنَّ البحثَ عن الزوجيّة البشريّة من حيث تحديد طبيعتها وأهدافها في ضوء الرؤية القرآنيّة يتمتّع بموقع خاص، ولا يمكن بسط الحديث عنه في هذا البحث القصير نسبيًّا، لذا نقتصر على جملة نقاط بنحو مختصر.

يلاحظ المستطلع للآيات القرآنية الكريمة أمورًا عدّة فيما يتعلَّق بمسألة الزوجيّة البشريّة:

1 - انقسام الإنسان إلى ذكر وأنثى

إنَّ نظامَ الزوجيّة العام السّاري في الكائنات الحيّة كالنبات والحيوان يشمل الحياة البشريّة، فالله تعالى خلق الناس من ذكر وأنثى، ولا يوجد صنفٌ ثالثٌ غير الرجال والنساء في ضوء المنطق القرآني، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾[الحجرات:13]،

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[النساء:4]، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى* مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾[النجم:45-46]، ﴿ألم يكُ نُطفة من منيٍّ يُمنى* ثم كان علقة فخلق فسوّى* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾[القيامة:37-39]، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[الشورى:49]، ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[الشورى:50].

فهذه الآيات تبيّنُ بشكل واضح لا لبس فيه، أنَّ الزوجيّةَ بمعنى الذكورة والأنوثة حاكمة على الحياة البشرية، فالناس على نوعين: ذكر وأنثى فقط - على نحو القضية المنفصلة الحقيقية فالأنوثة والذكورة لا يجتمعان ولا يرتفعان-، فليس هناك نوع ثالث بينهما.

والزوجيّة -بمعنى انقسام الإنسان إلى صنفين: إمَّا ذكر وإمَّا أنثى- من مُسلَّمات البيولوجيا المعاصرة، حيث إنَّهُ حتى أكثر العلماء تشدُّدًا في الإلحاد ورفض الأفكار الدينيّة مثلاً، يعتقد أنّه لا مكان لغير صنفين: الذكورة والأنوثة في النوع البشري، ومن باب النموذج، نذكر عالم الأحياء التطوّريّة البريطاني ريتشارد دوكنز Richard Dawkins وهو صاحب كتاب "وهم الإله" The God Delusion في سؤال وجَّهه إليه الصحفي بيرس مورغان Piers Morgan عن الجندريّين الّذين يريدون نزع صفة الجنس عن أحدهم عن طريق التظاهر بأنَّ البيولوجيا لا وجود لها، وكيف أنّهم استطاعوا تشكيل كتلة كبيرة في المجتمع؟ أجاب دوكنز: «محزن جدًّا كيف استطاعت هذه الأقليّة الضئيلة من الناس أن تأسرَ بابَ النقاش المجتمعي والحديث خارج نطاق المنطق العلمي!! الردُّ عليهم يكمن في العلم Science، إذ هناك جنسان فقط: ذكر وأنثى، يمكنك الحديث عن الجندر كما يحلو لك وهو غير موضوعي ولا يهمّني، لكن، كعالم بيولوجيّ هناك جنسان، والأمر يقف عند هذا الحدّ»[1].

مع ذلك، تقوم الإيديولوجيا الجندريّة على منطق سوفسطائي يتجاوز البيولوجيا والعلم Science، بذريعة أنّه لا يمكن النّظر إلى موضوع الجندرية من منظار علمي فقط، بل لا بُدَّ من الأخذ بالحسبان حقّ الإنسان في التعبير عن نفسه بالهوية التي يريد.

كُلُّ إنسان يُدرِك من ذاته أنَّهُ ذكر أو أنثى بشكل فطري، فحتى الطِّفل يُدرك ذكورته أو أنوثته قبل تلقيه أي تعليم جندريّ، وكلّما نضج وعي الإنسان عن ذاته مقارنةً بالآخرين تمكَّن من التمييز بين

1 - مقابلة منشورة على الرابط الآتي: https://www.youtube.com/watch?v=-4dJxANqnyo عند الدقيقة 2:06.

الذّكر والأنثى، في ضوء مجموعة من المؤشّرات كالأعضاء التناسلية الأنثوية، الرَّحِم، الحيض، القدرة على الحمل والوضع، والرَّضاع.

على كلّ حال، الرجل علميًّا هو ما يحمل كروموسومات XY، والمرأة ما تحمل كروموسومات XX، وتظهر نتيجة ذلك في الفحص المخبري. لكن، عندما تسأل السوفسطائية الجندريّة عن تعريف المرأة -مثلاً-: فإمَّا يتهرَّبون من الإجابة كما في واقعة السؤال الذي وجَّهته السيناتور الأمريكية مارشا بلاكبيرن Marsha Blackburn إلى القاضية جاكسون Ketanji Brown Jackson وهي من مناصري أجندة الجندرية والنسوية: هل يمكنك تعريف ما هي المرأة؟ فأجابت جاكسون: لا أستطيع.

وعندما أعاد عليها السؤال السيناتور تيد كروز Ted Cruz في جلسة أخرى، أجابت بالمصداق دون تحديد المفهوم تهرّبًا من الإجابة أيضًا، فقالت: أعرف أنَّني امرأة، وأنَّ السيناتور مارشا امرأة، وأنّ أمي امرأة!!

2 - فقدان المعيار المنطقي لتحديد المفاهيم

وإمَّا أن يتركون تعريف المرأة خاضعًا للرغبة والمشيئة، بمعنى أنّها ليس لها تحديد واضح، فـمفهوم «المرأة» -مثلاً- يتلوّن حسب الرغبة، ففي نقاش بين مات ولش Matt Walsh - وهو ناشط ضدّ الإيديولوجيا الجندريّة ومقدِّم الفيلم الوثائقي ما هي المرأة؟ What is a Woman? – وبعض الجندريين سألهم: ما هو تعريف المرأة؟ فقال بعضهم: المرأة شيء لا يمكن تعريفه، وبعضهم الآخر قال: لا أستطيع تعريف المرأة، وثالث قال: المرأة هي ما تريد أنت أن تعرِّفه فلها تعاريف مختلفة، فأجابهم ولش: تظهر هوية المرأة علميًّا في الـ DNA، فلو أنَّ شخصًا مات منذ مئات السنين ثم فحصنا مختبريًّا عظامه يمكن تحديد أنَّهُ امرأة أو رجل، حتى لو لم نكن نعرف ماذا يدور في رأسه عن تعريف نفسه، لكن بإمكاننا معرفة جنسه لأنَّ هذا مترسِّخ في كلّ ذرة من ذرات جسده[1].

فالمنتمون إلى الإيديولوجيا السوفسطائيّة الجندريّة لا يتجاوزون المنطق العقلاني والدينيّ فحسب، بل المنطق العلمي والحقائق التكوينية الطبيعية، ويعتقدون أنَّ كلمات الأنوثة والذكورة والنّساء والرّجال... ليس لها تحديد مُعيّن، بل تخضع للمنطق الجندري الحربائي، فمثلاً إذا قدَّمَ الإنسان الذّكر بيولوجيًّا نفسه على أنّه امرأة، فجندريًّا هو امرأة، وعلى الآخرين احترام خياره وتقبّله،

1 - على الرابط الآتي: https://www.youtube.com/watch?v=NBOaHFF4WYw

وينبغي ترتيب الأثر على ذلك والتعامل معه على هذا الأساس، وإلاّ عدَّ ذلك «كراهية» و«تحريض على العنف» و«تمييز عنصري»... إلخ.

وقد أوجد ذلك -أي الرّجل الذي يعرّف نفسه امرأة مثلاً- أزمات تعليمية وتربوية واجتماعية كثيرة في المدارس والمؤسسات والأندية الرياضية...إلخ، كمشاركة الرجل الذي يُعرِّف نفسه أنَّه امرأة في الرياضات النسائية مثلاً، والتي أثارت مشكلة في أمريكا، كما فتح نقاشًا واسعًا على قضايا قانونيَّة كثيرة، من حيث -مثلاً- هل أنّه يحاكم كامرأة لكونه يعرِّف عن نفسه بأنّه امرأة أم كرجل لأنّها حقيقته، كحادثة الرجل البريطاني الذي تحرّش بفتيات، ثم قدّم نفسه في أثناء المحاكمة على أنّه امرأة جندريًّا؟!! وأصبحت المجتمعات الغربية تشهد حالات عديدة من دخول الرجال على النساء في غرف تبديل الملابس، وإذا اتّصلت الأنثى بالشرطة لحماية حقّها في عدم انتهاك خصوصيّة جسدها، لا يتمّ اعتقال الرّجل، بحجة أنّ هذه مسألة حسَّاسة في المجتمع من حيث إنّه يُعرِّف نفسه كامرأة، إنّها لسخرية ليس بعدها سخرية!!! فيتمُّ انتهاك حقوق المرأة للحفاظ على حقوق مجموعة من المرضى النفسيين والمختلّين العقليين. وبهذا يتبيّن، أنَّ الإيديولوجيا الجندرية تقوم على المنطق السوفسطائي المُتحرِّر من القواعد المنطقية والقوانين العلميّة.

3 - تحديد الهوية الجندريّة بين الوهم النفسي والواقع التكوينيّ

إذا كان الجندر هو الهوية الاجتماعيّة التي يختارها الإنسان لنفسه وعقيدته عن ذاته، والصّورة التي يقدِّمها عن نفسه للآخرين، فإنما ينبغي أن يكون ذلك التعريف مطابقًا للواقع، أي للهوية الطبيعية والنفسية والاجتماعيّة الواقعية للإنسان، وإلَّا لا يكون ذلك خلاف الموضوعيّة فقط كما أشار ريتشارد دوكنز، بل تصبح كذبًا واختلاقًا ونفاقاً، أو وهمًا وهلوسة أو مرضًا نفسيًّا..لأنَّ الهويةَ التي ينبغي أن يُعرِّف الإنسان نفسه بها، هي ما يكون عليها «هو هو» في الواقع، وهذا هو معنى الهوية، المُشتقة من «هو»، أي العناصر الداخلة في تحديد الذات الواقعية، وبالتالي، إذا عرّف الإنسان نفسه بأنّه مؤمن أو ملحد أو لا أدري مثلاً، فإنَّهُ يكون قد عرَّف نفسه بهويته الواقعيّة التي هو عليها، وكذلك إذا عرّف نفسه بأنّه امرأة أو رجل، وبمعنى آخر يمكنك أن تعرّف نفسك في ضوء ما أنت عليه، باعتبار ما هو كائن (الكينونة) المُطابِق للواقع العيني الطبيعي (امرأة/ رجل) أو النفسي (مؤمن/ ملحد..إلخ.)، لا في ضوء الرغبة والمشيئة وباعتبار ما تتوهّم، فالاختيار اللفظي لتعريف

الذّات لا يُغيِّرُ الوقائع التكوينية.

نعم، يبقى هذا التعريف تعريفًا اعتباريًّا، والمقصود بالاعتبار: إعطاء شيء حدّ شيء آخر وتنزيله منزلته بالتواضع ليترتّبَ عليه أثره، إذ قد يتواضعون في مجتمعهم الخاصّ بهم ويتّفقون على ذلك، ولكنّهم لا يستطيعون إلزام الآخرين باحترام هذا الوهم وتقبّل ذلك[1].

وفي السياق، نلاحظ أنَّ الإيديولوجيّا الجندرية، بدأت تعمل على أجندة تكييف المناهج التعليمية في المواد العلمية التي يفترض أن تتضمّنَ الحقائق الطبيعية فقط، بما يتناسب مع الإيديولوجيا الجندريّة، وبوضع معجم مصطلحات مُحايِدة جنسيًّا -حسب تعبيرهم- تتناسب مع إيديولوجيتهم الجندريّة، وسنذكر نماذج على ذلك.

4 - التّناسل واختصاص الحمل بالأنثى

انطلاقًا من اعتقادنا بأنَّ اللهَ تعالى حكيم لا يفعل إلَّا لهدف، نؤمن بأنّه جعل الزوجيّة لأهداف خاصّة تعود مصلحتها على النوع البشريّ، من أهمّها : التناسل وحفظ استمرار النوع البشري وتكاثره، وقد جعل الأنثى هي الصنف الخاص بالحَمْل والإنجاب من نوع الزوجَين، فتكون أحد أهم مؤشّرات الأنوثة هو القابلية للحَمْل، يقول تعالى: ﴿**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾[الرعد:8]، ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**﴾[فاطر:11]، ﴿**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**﴾[فصلت:47].

وقال تعالى : ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ**﴾[الزمر:6]. ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾[الأحقاف:15].﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾[لقمان:14].

فهذه الآيات بأصنافها المتعدّدة - مضافاً إلى التي ستأتي- تدلُّ على أنَّ اللهَ تعالى زوَّد الأنثى وجهَّزها بحسب الطبيعة، بما يُمكِّنها من تحقيق الهدف المذكور الذي هو التناسل والتّكاثُر:

1 - الطباطبائي، م. س، ج1، ص523 .

1. الرحم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[آل عمران: 6].

2. الحيض، قال تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾[1] ، ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ﴾[الطلاق:4]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ﴾[البقرة: 222].

3. الحمل، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ [فاطر:11].

4. الإنجاب والوضع، ﴿وَلَا تَضَعُ﴾، ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾[المجادلة:2].

5. الرضاع، ﴿الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[البقرة:233].

هذا، ومن مُسلَّمات البيولوجيا المعاصرة أيضًا، أنَّ الرَّجلَ ليس له قابلية الحيض والحمل والإنجاب والرضاع...، فالرّجال المتحوّلون جنسيًّا يبقون بيولوجيًّا رجالاً فهم لا يحيضون، لأنَّ الإنسانَ الأنثى الذي يحمل كروموسومات XX يمكن أن يحيضَ، أمَّا إذا كانت كروموسوماته XY كالذكر، فلا يمكن أن يحيضَ. نعم، بإمكانه أن يتظاهرَ أمام الآخرين بأنَّهُ امرأة، بارتداء ثياب النساء والتجمُّل والتزيُّن وتغيير الشكل الخارجي والتصرُّف مثلهنّ أو زراعة بعض الأعضاء...، ولكن هذا لا يجعله رجلاً بيولوجيًّا حقيقةً.

كما أنَّ المرأةَ التي تتحوّل إلى رجل، وتبقى قادرةً على الحمل -مثلاً- لا يفيد ذلك قابلية الرجال للحمل والإنجاب، لأنَّ المُتحوِّلة جنسيًّا إلى رجل ليست ذكرًا بيولوجيًّا بل أنثى حقيقةً.

مع ذلك أيضًا، لا ترتضي الإيديولوجيا السوفسطائيّة الجندريّة هذا المنطق الطبيعي، لأنَّهُ يستند إلى منظار علمي بحت -كما أشرنا-، لذا يؤكِّدون ضرورة التمييز بين الجنس والهوية الجندريّة، فالجنسُ هو ما يولد عليه الإنسان بيولوجيًّا، أمّا الجندر فهو ما يختاره الإنسان لنفسه من هوية اجتماعية يعرّف نفسه بها أمام الآخرين.

وقد ناقشنا هذه النقطة فيما سبق، ونضيف، أنَّهُ في الحقيقة ليس هناك اختلاف بين الجنس والجندر من ناحية الذكورة والأنوثة، إلَّا بمجرد التلاعب السوفسطائي في التعبير اللفظي

1 - يقول العلامة الطباطبائي في معنى الآية: «..الأنسب أن تكون الأمور الثلاثة المذكورة في الآية، أعني قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ إشارة إلى ثلاثة من أعمال الأرحام في أيام الحمل، فما تحمله كلُّ أنثى هو الجنين الذي تعيه وتحفظه، وما تغيضه الأرحام هو دم الحيض تنصبُّ فيها فتصرفه الرحم في غذاء الجنين، وما تزداده هو الدم التي تدفعه إلى خارج كدم النفاس والدم أو الحمرة التي تراها أيام الحمل أحيانًا، وهو الذي يظهر من بعض ما روي عن أئمة أهل البيت(ع) وربما ينسب إلى ابن عباس». انظر الميزان في تفسير القرآن، ج11، ص306.

كما هي عادة الجندريين والشاذّين في اللعب على الألفاظ، فهم يعترفون أنَّ اتجاههم ضدّ المنطق العلمي، ولازم ذلك أنَّهم يختلقون هذه الأمور بلا أدلة، ولو سلَّمنا أنّهم يتمتّعون بحقّ حرية التعبير عن ذواتهم بالصورة التي يرغبونها ويختارونها لأنفسهم، إلَّا أنَّ هذا لا يعني إلزام الآخرين بتقبُّل هذه الأوهام والهلوسات (delusions and hallucinations)، الناتجة من المرض العقلي أو النفس على أنّها حقائق مطابقة للواقع (match realities ,facts, truths).

5 - انحصار العلاقة الشرعيّة بين الذّكر والأنثى

يُؤكّدُ القرآن الكريم، أنَّ بدايةَ نشوء النسل البشري حصل من ذكر وأنثى متزاوجين، ثمَّ بثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾[النساء: 4]، هما آدم وزوجته -التي تسميها الروايات حوّاء- من غير أن يشاركهما فيه غيرهما حيث قال: "وبثَّ منهما"، وبقرينة آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ**﴾[الأعراف: 27].

وتقدَّم أنَّ أهمَّ أهداف الزوجيّة هو التناسل، والتناسل يمكن أن يحصلَ بمطلق العلاقة الجنسيّة بين الذّكر والأنثى أعمّ من الزّواج القانوني أو غيره، لكن المنطق القرآني يقوم على أساس حصر العلاقة الجنسيّة الشرعيّة المُفضية إلى التناسل بين الذّكر والأنثى الناشئة عن عقد الزّواج (أو ملك اليمين).

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾[المؤمنون:5-7]، و[المعارج: 29-31].

يقول العلامة الطباطبائي: "المتأمِّل في خلق الإنسان وانقسام أفراده إلى صنفي الذكر والأنثى وما جُهِّز به كلٌّ من الصنفين من الأعضاء والأدوات وما يختصُّ به من الخلقة لا يرتاب في أنَّ غرضَ الصنع والإيجاد من هذا التصوير المختلف وإلقاء غريزة الشهوة في القبيلين وتفريق أمرهما بالفعل والانفعال أن يجمع بينهما بالنكاح ليتوسلَ بذلك إلى التناسل الحافظ لبقاء النوع حتى حين.

فالرجل من الإنسان بما هو رجل مخلوق للمرأة، لا لرجل مثله، والمرأة من الإنسان بما هي امرأة مخلوقة للرجل، لا لامرأة مثلها...!؟ وهذه هي الزوجية الطبيعية التي عقدها الصنع والإيجاد بين الرجل والمرأة من الإنسان، فجعلهما زوجين.

ثم الأغراض والغايات الاجتماعية أو الدينية سنَّت بين الناس سُنّة النكاح الاجتماعي الاعتباري الذي فيه نوع من الاختصاص بين الزوجين، وقسم من التحديد للزوجية الطبيعية المذكورة، فالفطرة الإنسانية والخلقة الخاصة تهديه إلى ازدواج (تزاوج) الرجال بالنساء دون الرجال، وازدواج النساء بالرجال دون النساء، وأن الازدواج مبني على أصل التوالد والتناسل دون الاشتراك في مطلق الحياة"[1].

وبالتّالي، لا يكون التناسل شرعيًّا إلّا بهذه الصيغة القانونية، ومن هنا لم يقرّ القرآن التبنّي، يقول تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾[الأحزاب: 4]، فلا يجوز التبنّي، ولا يثبت به النسب ولا التوارث، بل لا بدّ من إعلام الطِّفل بالواقع بطريقة لا تؤثّر على نفسيّته سلباً، ولا يجوز تسجيله في السجلّ الشخصي (الجنسيّة) بل لا بدّ من نفي اسمه عنها إن تمّ تسجيله مُسبقًا، وإن لم يمكن ذلك، ولو من جهة الحرج أو الضرر وجب تثبيت الحقيقة وتوثيقها بالشّهود[2].

وفي المقابل، نلاحظ أنّ الأيديولوجيّا الجندرية والشذوذية، تتجاوز ذلك، حيث شرّعت الزواج بين المثليين، وفي سبيل إعطاء المشروعيّة لتبني الأطفال من قبل اللواطيين والسّحاقيات (الزوجين مثليي الجنس) وتحويلهم إلى أطفال حقيقيين في حركة مضادة لمقتضى الطبيعة وقوانين البيولوجيا، اختاروا التعبير بلفظ Egg Producers أي منتجات البيضات بدل Mothers الأمّهات ، وقد باركت Rachel Levine راشيل ليفين – وهي امرأة متحوّلة جنسيًّا وبروفيسور في طبّ الأطفال والطب النفسي في كلية الطب بجامعة (Penn State) ومساعدة وزير الصحة الأميركي الحالي- في زيارة لها إلى عيادة خاصة بالرعاية الصحيّة لتعزيز مجتمع المثليات والمثليين ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحوّلين جنسيًّا وثنائيي الجنس واللاجنسيين... في ألاسكا الموارد التي تُوصي بذلك[3].

وعلى كلّ حال، يُحرِّم القرآن العزيز:

أ. أي علاقة جنسية بين الذكر والأنثى، خارج الزّواج الشرعي، كالزّنا والبغاء، يقول تعالى: ﴿**وَلَا**

1 - الميزان في تفسير القرآن، ج 15، ص 310.

2 - انظر: https://www.sistani.org/arabic/qa//

3-https://www.nationalreview.com/news/mothers-or-egg-producers-top-hhs-official-rachel-levine-praises-clinic-for-gender-affirming-language/

تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا﴾[الإسراء:32]، ﴿..وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[الفرقان: 68]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ..﴾[الممتحنة: 12]، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[النور: 2-3].

ب. أيُّ علاقة جنسيّة بين الأنثى والأنثى، بعموم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾[المؤمنون:5]، ورُوي بسند صحيح أنّ المقصود بأصحاب الرسّ هو السِّحاق، فقد سُئِل الإمام الصادق عليه السّلام: ماذا تقول في اللواتي مع اللواتي؟ فقال: هن في النار... فسألته امرأةٌ: ليس هذا في كتاب الله. قال عليه السلام: بلى. قالت: أين؟ قال عليه السلام: قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾[الفرقان:38]، هم أصحاب الرس[1].

ت. أي علاقة جنسيّة بين الذكران، يقول تعالى: ﴿أَتأْتُون الذُّكْران مِنَ العالمَين* وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[الشعراء: 165-166]، فهذه الآية تتضمّن أمرين:

- الأول: الإنكار والتوبيخ لقوم لوط على اللواط وإتيان الذكران.
- والثاني: الإنكار والتوبيخ على ترك ما خلق الله لهم من الأزواج، ممَّا يؤكّد أنَّ اقتران الذَّكر بالذَّكر لا يُسمَّى زواجًا بالاصطلاح الشرعي ولم يُعهَد من لغة العرب استعماله كذلك.

وفي السياق ذاته، يقول تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[الأعراف:81]،﴿إِنّكُم لتأْتُون الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السّبيلّ﴾ [العنكبوت:29]، والظاهر أنَّ المقصودَ بقطع السبيل، كما يشهد له السياق، هو إهمال طريق التناسل وإلغاؤه، فقطع السبيل كناية عن الإعراض عن النساء وترك نكاحهن، بحيث لا يستمر النوع البشري ويفنى..[2]، وهذا يؤكّد أنّ إيديولوجيا الجندر والشذوذ الجنسي تقوم - مضافًا إلى رفض «المنطق العلمي» والعمل

1 - انظر: الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص239، البرقي، المحاسن، ص110 و114، والقمي، تفسير القمي، ص465.

2 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج16، ص123.

على خلاف «مقتضى الفطرة والطبيعة»- على «فلسفة الموت» و «العدميّة»، لأنّه لو تصوّرنا اكتفاء الذّكور بالذّكور، والإناث بالإناث، لانْقطع السبيل، وذلك بمثابة حكم بالإعدام على استمرار النوع البشري، ولذا هي فلسفة موت وعدميّة.

6 - المفاعيل التدميريّة للعلاقات الجنسيّة خارج الزواج الشرعيّ

إنَّ قطعَ السبيل هذا، غير مُختصّ باللواط والسّحاق، بل يشمل الزّنا أيضًا، فقد أشار الله تعالى في القرآن إلى كون ذلك من حكمة التحريم كما في الآية المُتقدِّمة: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا**﴾، حيث عدَّهُ سبحانه وتعالى أولاً: فاحشة، ثم أطلق عليه وصف: "وساء سبيلاً"، على حدِّ قوله تعالى : (تقطعون السبيل)، والمعنى «تتركون إتيان النساء الذي هو السبيل فتنقطع بذلك وليس إلَّا سبيلاً للبقاء من جهة تسببه إلى تولد المواليد وبقاء النسل بذلك، ومن جهة إنّ الازدواج وعقد المجتمع المنزلي، هو أقوى وسيلة تضمن بقاء المجتمع المدني بعد انعقاده. فمع انفتاح باب الزنا لا تزال الرغبات تنقطع عن الازدواج، إذ لا يبقى له إلا محنة النفقة ومشقة حمل الأولاد وتربيتها ومقاساة الشدائد في حفظها والقيام بواجب حياتها والغريزة، تقنع من سبيل آخر من غير كد وتعب، وهو مشهود من حال الشبان والفتيات في هذه البلاد»[1].

مضافاً إلى هدف الحفاظ على استمرار التناسل وبقاء النوع البشري، هناك هدف آخر وهو العفة المجتمعية، كما تفيده آيات عديدة، منها الآية التي تقدّمت حول حفظ الفرج واعتبار من ابتغى وراء ذلك «هُمُ ٱلْعَادُونَ»، فحفظ الفروج كناية عن الاجتناب عن المواقعة سواء كانت زنا أو لواطاً أو غير ذلك، والمستثنى من ذلك الأزواج الحلائل من النساء، وما ملكت أيمانهم، فإذا كان مقتضى الإيمان حفظ الفروج مطلقاً، إلَّا عن طائفتين من النساء هما الأزواج وما ملكت أيمانهم، فمن طلب وراء ذلك أي مسّ غير الطائفتين، فأولئك هم المتجاوزون عن الحدِّ الذي حدَّه الله تعالى لهم.

ومنها قوله تعالى: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾[البقرة: 187]، فالظاهر من اللباس معناه المعروف وهو ما يستر به الإنسان بدنه، والجملتان من قبيل الاستعارة، فإن كلًّا من الزوجين يمنع صاحبه عن اتّباع الفجور وإشاعته بين أفراد النوع، فكأنّ كل منهما لصاحبه لباساً يواري

1 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج13، ص88.

به سوأته ويستر به عورته[1]. ومنها: قوله تعالى: ﴿**ولا تُكْرِهُوا فَتياتِكُم على البِغَاء إنّ أَرَدْنَ تحصُّنا**﴾[النور:33]، فالتحصّن التعفُّف.

ومن أهمّ أهداف الزوجية في المنطق القرآني كذلك، تقوية الوحدة الرَّحمية وأن تكون الأسرة قائمة على أساس الرّحم، ويؤكّد ذلك ورودها في سياق حديث القرآن عن الزوجيّة، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النساء:1].

فالله سبحانه وتعالى يأمر في هذه الآية بتقوى الله وبتقوى الأرحام، أي اتّقاء الوحدة الرحمية التي خلقها الله تعالى بين الناس، والتي يُؤدّي الزّواج بين المثليين(الشّواذ) إلى تدميرها في المجتمع البشري.

الخاتمة

إنَّ الإيديولوجيا الجندرية في شقّها القائم على تقديم المرأة نفسها على أنّها رجل، أو الرّجل نفسه على أنّه امرأة، أو حريّة الازدواج والاقتران بين الإناث(السحاق) أو الذّكور (اللواط) والذي تحاول الإيديولوجيا الشاذّة تأطيره في صيغة قانونية تحت عنوان: «زواج المثليين»، هو حركة على خلاف مقتضى الطبيعة، ولذلك، يُصطلح عليه اسم الشذوذ، لأنَّ الشذوذَ هو الخروج عمَّا هو مقتضى الطبيعة، ولا ريب في أنَّ ما يكون على خلاف مقتضى الفطرة والطبيعة لا يرتقي بالإنسان في سلّم الكمال النفسي والروحي بل يتسافل به، ولا يمكن أن يمنح الإنسان الشعور بالطمأنينة والسكينة والمودة والرحمة، لأنَّ الله تعالى إنَّما جعل هذه الأمور بين الزوّجين الشرعيين، قال تعالى: ﴿**والله جَعلَ لَكُم مِنْ أنْفُسكُم أزْواجًا**﴾[النحل: 72]، وقال عزّ وجلّ: ﴿**ومِنْ آيَاته أنْ خَلَقَ لَكُم مِن أنْفُسكُم أزْواجًا لتَسْكُنوا إليْها وَجَعل بَيْنكُم مَودّة ورَحْمة**﴾[الروم: 21].

وثمة أمور في هذه الآيات:

- الأول: «خلق لكم»، أي لأجلكم ولنفعكم ومصلحتكم.
- الثاني: «من أنفسكم أزواجًا»، أي من نوعكم من تقترنون به، لأنَّ الظاهرَ أنَّ «من» نشوئية، فالآية بيان لكون زوجها من نوعها بالتماثل والتشابه.

---

1 -الطباطبائي، ج2، ص44.

■ الثالث: «لتسكنوا إليها»، واللام للغاية أي الغاية من هذا الخلق للزوجيّة هو الشعور بالسّكن، فكلّ واحد من الرجل والمرأة بالنظر إلى نفسه مفتقر إلى الآخر، يشعر بالاضطراب والوحدة والوحشة والغربة، فإذا اتّصل بالآخر شعر بالسكينة والأنس والراحة والألفة.

■ والرابع: «جعل بينكم مودة ورحمة»، فحالة الأنس والمودة والرحمة لا يمكن أن تحصل إلاَّ في ظلّ الزّواج حصرًا، لأنّه به تتلبّى الحاجة الفطرية الطبيعية ويرتفع النقص والحرمان، وإلاّ فسيبقى الإنسان يعيش في دائرة الشعور بالنقص والحرمان، لأنّه لم يحصل على الإشباع بما يتناسب مع متطلبات الطبيعة، وبالتالي، سيبقى نداء الطبيعة يضغط على روح الإنسان ونفسه ليوفِّر لها حاجاته ويحقق كفاياتها.

وقوله تعالى في ختام الآية: (لآيات لقوم يتفكرون)، مشير إلى «أنهم إذا تفكروا في الأُصول التكوينية التي يبعث الإِنسان إلى عقد المجتمع من الذكورة والأُنوثة الداعيتين إلى الاجتماع المنزلي والمودة والرحمة الباعثتين على الاجتماع المدني ثم ما يترتب على هذا الاجتماع من بقاء النوع واستكمال الإِنسان في حياتيه الدنيا والأخرى - لو تفكروا كذلك- عثروا من عجائب الآيات الإِلهية في تدبير أمر هذا النوع على ما يُبهر به عقولهم وتدهش به أحلامهم»[1].

والخلاصة، إنَّما تقدَّم كله، يؤكّد ما ذكرناه مرارًا من أنَّ إيديولوجيا الجندر والشذوذ الجنسي، هي إيديولوجيا تدمير وموت وعدميّة، لأنّها تتحرّك على خلاف مقتضى الطبيعة والفطرة السليمة.

1 - الطباطبائي، ج16، ص167.

المصادر والمراجع

- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، طهران-إيران، مكتب الإعلام الإسلامي، 1404هـ، (لا.ط).
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي،ط-2 1417ه1997-م.
- البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، تصحيح وتعليق السيد جلال الدين الحسيني، (لا .بلد)، دار الكتب الإسلامية، 1370هـ، (لا.ط).
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دمشق-بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1412هـ، ط1.
- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت- لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط-1 2013م.
- الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، تقديم السيد محمد مهدي الخرسان، قم-إيران، منشورات الرضي، ط2 - 1368هـ.
- الطباطبائي، محمد حسين، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، تقديم وتعليق مرتضى مطهري، ترجمة عمار أبو رغيف، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ط-1 1418هـ.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت- لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1 - 1997م.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المعروف بتفسير الطبري)، ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة، 1995م.
- الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، قم-إيران، دار الثقافة، ط-1 1414هـ.
- القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تصحيح وتعليق السيد طيب الموسوي الجزائري، قم-إيران، مؤسسة دار الكتاب، ط-3 1404هـ.
- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، طهران- إيران، دار

الكتاب الإسلامي، ط-3 1388هـ.

■ اللنكراني، محمد الفاضل، مدخل التفسير، قم-إيران، مركز فقه الأئمة الأطهار، ط- 1428هـ.

■ المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، القاهرة- لندن، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، دار الكتب العلمية، ط-3 2009م- 1430هـ.

■ https://www.youtube.com/watch?v=

■ https://www.youtube.com/watch?v=NBOaHF

■ https://www.sistani.org/arabic/qa/0381/

■ https://www.nationalreview.com/news/mothers-or-egg-producers-top-hhs-official-rachel-levine-praises-clinic-for-gender-affirming-language/